ان العيد يستحب لمحبة صاحبه وتسمو مرتبته بسمو مراتبه ومن في الملوك كسلطاننا عبد الحميد تهتز لاعياده البلاد ويخفق لوداده كل فؤاد وتبتهج بعيده كل الرعية كانه عيد كل فرد من الافراد ألا انه عيد ولا كالاعياد اطال الله بقاء صاحبه الكريم تعتز البلاد بوجوده وتسعد العباد بجوده ولا زالت اعياده الكريمة قائدة المواسم رائدة المكارم بمنه وكرمه

ولقد احتفلت بلادنا المصرية بهذا العيد السعيد احتفالاً انتشر فيه الابتهاج والسرور وتشارك به خفق الريات مع خفق الصدور ففي كل منزل منازل للانوار والاضواء وعلى كل قصر قصور من السناء والبهاء فحيثما التفت في القطر لا ترى غير رونق العيد وكيفما استمعت لا تسمع غير اسم عبد الحميد

ولقد زين دولة الغازي الباسل احمد مختار باشا قصره البهيج على ضفة المحمودية فاذاهو سماء تتألق نجومها وتتدفق غيومها فهناك ما شئت من زينات رائقة ورايات خافقة ومناضد منضودة وموائد ممدودة وقد زان تلك الحفلة دولة الغازي بما كان يقابل به الحضور من جميل الانعطاف وجزيل الالطاف وظلوا كذلك بين صفو مديد وزهو رغيد ودعاء لعبد الحميد حتى تكشفت الظلماء بعد ان كشفتها تلك الاضواء فانصرفوا يرددون الثناء والدعوات ولسان حالهم ينشد ما نظمته القريحة الحامدة من هذه الابيات

خير التهانيء ما يهدى لاخيارِ فانظم مديحك مختاراً لمختار
مشير دولتنا العظمى الذي اشتهرت بمصر آلاؤه في كل امصار
تجمع السيف في كفيه مع قلم حتى تشابه بتار ببتار

وانما الناس بالافكار قد عرفوا وقد حويت قوى عزم وافكار
وقمت في خدمة السلطان ملتزماً له الولاء باعلان واسرار
اذا عرا حادث كنت السلاح له كما تدافع آساد باظفار
قد انفردت بما أوتيت من خُلُقٍ حتى لاً غنيت عن جمع واكثار
يهنيك عيد امير المؤمنين كما يهنيه فضلك مقداراً بمقدار
زينت له دارك الفيحاء تكرمة وانما انت فيه زينة الدار
اذا ذكرنا به عبد الحميد بدا تذكاره منك مشفوعاً بتذكار
وانما الملك يحيا بالرجال فهم لدى الملوك كاطواق واسوار
وطالما كنت ذخراً للبلاد وكم اغنى انتصارك عن ذخر وانصار
تبقى مساعيك في تاريخها أثراً يزهو وتمحى لديه كل آثار
فانعم بذا العيد والتنعم بصاحبه مواصلاً منه ادهاراً بادهار
ولا تزل بكما الايام نيرة كما ينير الليالي ضوء اقمار

سعادة الانسان

السعادة هي الغرض الذي تتجه اليه ابصار كل مخلوق في يوم تفتح للنور عيناه والغاية التي يتطلع اليها الانسان من وراء كل عمل يباشره في دنياه والامنية التي يرجو تحقيقها كلما سعى مسعاه والقمة التي يحاول الارتقاء اليها مهما اعترض طريقه من العثرات والعقبات والفكر الذي لا ينفك ملازماً للمرء يصحبه في جميع اطوار الحياة حتى يرد حوض الممات والرجاء الذي

يعقد لواءه وهو مجتاز فيافي هذا العمر بين ايام رخاء وايام شقاء والقاعدة التي يجهد ان يقوم عليها ما يتكلفه من كل بناء والهم الذي يشغل افكاره في حالي يقظته ومنامه والوجهة الماثلة على الدوام امام عينيه في موقفي تنقله ومقامه والرائد الاكبر لجميع سكناته وحركاته والقوة التي تدفعه الى احتمال كل مكروه من نوازل الدهر وملماته ثمن يشتري به السعادة بذاك العناء وفدى يؤديه لما يتوقعه من الهناء بعد ذاك الشقاء بل هي سبب ما تراه في هذا العالم من دوام الشحناء بين الافراد وتواصل العداوات بين الشعوب والممالك فانما الكل يتجاذبون هذه السعادة ولو سالت الدماء دون نيلها انهارا وارتفعت جثث ضحاياها تلولاً وحرارا فهي اذن بالحقيقة سر تنازع البقاء وجذوة نار هذا التزاحم في هذا الوجود ولولا خلقة الانسان مفطوراً على التماسها لما كان سعي ولا جهد بل كنت رأيت هذا المخلوق الانساني وهو المقيم القعد لهذا الكون مخلداً الى السكينة والخمول قانعاً بالكفاف عائشاً كاحدى هذه السوام وبالجملة فأن السعادة هي حقيقة ما يرجوه الانسان الذي تراه حريصاً على دينه متمسكاً بعروته الوثقى فانه لولا ما يتوقع في الاخرة من السعادة الخالدة التي لا تزول ولا تفنى لما كان على شيء من هذا الورع وذاك الصلاح

وبعد فما هي هذه السعادة التي يلتمسها الانسان بكل قواه والتي هي غاية اولاه واخراه واين هي هذه السعادة

وقبل ان نجيب على ذلك نقول ان السعادة الخالصة على زعم اهل الحكمة والدين ممتنعة في هذه الدنيا لاعتقادهم ان هذه الدار معهد الاكدار ومورد البلاء والاحزان ووادي الدموع والاشجان ثم لما عهدوه في الانسان من

الطمع الاشعبي وكثرة المطالب والمتمنيات التي لا حد لها وعندنا انهم في ذلك مصيبون

على انا اذا تكلمنا عن سعادة الانسان فانما نعني بذلك السعادة النسبية وهي موضوع كلامنا فالاقوال في تحديد السعادة كثيرة تختلف مبنى وتتفق معنى وكلها وان تكن رمت الى غرض شريف وغاية سامية فانها لم تجتمع على رأي واحد في الدلالة على موضع السعادة مما يقتضيه هذا الشأن من الاجماع وما لا يتحمله من التجزئة والاختلاف وها نحن نورد هذه الاقوال ملخصة حرصاً على ما حوته من الفوائد والنصائح الحكمية. قال ارسطو ان السعادة في الحكمة ولا سعيد في الدنيا الا العاقل الحكيم فيكون بذلك هو وسليمان الذي اختار الحكمة لما خير على تمام الاتفاق في النظر الى السعادة وقال ويليم بلاك انها في النشاط والدأب على العمل ويتمثل على ذلك بالنحلة التي لا وقت عندها لتشقى وتحزن وقال لودوفيك هاليفي انها في قضاء الواجب على شرط ان يكون عن طيب خاطر ورضى به وقال سن لامبرت انها في استخدام الوقت وحسن التصرف به وقال برنردن دهسن بيير انها في اصطناع المعروف وان السعادة لا تأتي الا بعد اسعاد الغير ومثله قال لابروبير ان السعادة في ايثار الغير على النفس فان الانسان الذي يدعي انه ولد شقياً يمكنه ان يصير سعيداً بسعادة غيره وقال ابيكتيت ان السعادة لا تقوم في الاحراز والسرور ولكن في عدم التمني وقال غيرهم انها في الاعتدال والقناعة وبعضهم في الاجتهاد والمثابرة وقيل غير ذلك شيء كثير ولكن افضل ما رأيناه واقربه الى العقل والحقيقة قولان احدهما لارنست رنان الفيلسوف العظيم وهو ان السعادة في العمل ولكن العمل الذي قبله

الانسان بملء حريته واعتبرها واجباً والقول الثاني للمسيو ادوار لابولاي وهو اذا شئت ان تعرف سر الحياة وكيف تسعد فيها فاني الخص لك قاعدتي كلها في كلمة واحدة وهي العمل وليس غير العمل

هذا جل ما ارتآه فلاسفة العالم وحكماء الدنيا الذين هم نقاد الحقائق ينظرون اليها مجردة دون برقع ولا تمويه وهو كله متقارب في الجوهر وان تباين في العرض وكنا نحب ان نكتفي به عن المزيد ونضرب صفحاً عما يرتأيه غيرهم من عامة الناس ولكنا الماماً بالموضوع من كل اطرافه نلخص ايضاً ما يراه بعضهم ليظهر بالمقابلة مقدار التباين في النظر والاختلاف في الافكار تبعاً للمدارك والعقل فان الذي اجمع عليه عامة الناس في عصرنا هذا الذي تسلطت به المادة وتلاشى فيه كل شعور شريف ان لاسعادة الا بالمال وهو ما لم يرد في قول حكيم على الاطلاق وما لن يرد ابداً وقد فشت هذه الروح بين الناس فشواً مذهلاً حتى انك لترى الانسان لا ينقصه شيء من ادوات السعادة ولكنه يختلق همّ تحصيل المال والاثرآء توهماً ان فيه تحصيل السعادة وبئس الضلال ومنهم من يرى السعادة في الصحة وهو راي وان كان صحيحاً ولكنه راي الفئة التي ادركت مكاناً علياً من الجاه والمال وحسنت حالاً وساءت صحة ولم يجدها المال فتيلا فقامت تحسد الفقير على البقية الباقية له وهي الصحة وتعيد القول المشهور ان الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى . ومنهم من يقول انها في الخلف الصالح والبنين ومنهم من يتوهم السعادة في الحب وانه هو خلاصة السعادات كلها

ولغيرهم مذاهب اخرى عديدة لا تحصى نلخص على معتقدهم في قولنا السعادة هي تحقيق متمنيات المرء وتحصيل ما يفوته من مطمع وما ينقصه من

مغنم والحال ان السعادة لا ينبغي ان تتكيف تبعاً للحالات والظروف وان تتبع الانسان في اهوائه وامياله بل على الانسان ان يلتمسها من مظانها الحقيقية والبرهان على ذلك ان اصحاب العقول الراجحة والمدارك العالية وهم الخاصة لم يقل واحد منهم ان السعادة توجد حيث توهمتها العامة . نتج اذن من مقابلة المذهبين ان كلام رينان هو الاقرب للصواب والاجل في عيني الحقيقة وهو ما نريد ان يفهمه متطلبو السعادة في دنياهم والساعون اليها بكل جهدهم وقواهم ولا يتوهمن احد ان العمل هو الكسب والربح فان الغني الذي عدت ثروته المليون وضمن الكفاف بل اليسار الى يوم الدين لم يدفعه الى متابعة العمل خوف الفقر ونفاد المال الذي احرزه بل هو يعمل لانه لا يستطيع ان يسعد بالبطالة مع كل ماله وكذلك هذا العالم لم يحي الليل سهران مسهد الجفن متعب الدماغ توقعاً للنفع والمال بل هو قانع بالسعادة التي يجدها في عمله عن كل سعادة سواها من مال او من اجرة

واذا وافقنا على ان السعادة في العمل لم يكن لان فيلسوفاً كبيراً كرنان قال ذلك وقد يكون من عبث الكلام الملقى على عواهنه دون نظر دقيق ولا تمحيص بل لانه الصواب القائم على الحجة السديدة والبرهان الواضح والحكمة المستندة الى الدليل المقنع والفلسفة الصحيحة . اذ اي مأرب من مآرب الحياة لا تلقاه مندرجاً طي العمل واية امنية من اماني الانسان لا توجد محققة في العمل واية لذة وشعور شريف او رغبة لا تنال عن طريق العمل فالعمل شجرة المال ثمرها والصحة والعافية في ظلالها فاذا توفر للانسان هذان السببان فقد توفرت له كل اسباب السعادة تقريباً وقل ان ترى عاملاً يحسن استخدام وقته وهو فقير او مريض او ذو آفة وبيلة لان العمل عدو الفقر والمرض

والرذائل التي تتلف حال الانسان وتفسد عليه حياته. انظر الى العامل النشيط الذي يعمل باختياره ولا يضيع دقيقة واحدة من وقته سدى ان لم تلقه موسراً غنياً فهو غير معسر ثم هو صحيح البدن ناعم البال يحسو كاس حياته هنيئاً غير ملول ولا يائس مستقل الفكر والارادة اذا انتهى من عمله ذاق لذة الراحة بعد العناء فهو مسرور في عمله مسرور بورود حوض الحياة صافياً من غير كدر مسرور باستنشاق نسيم الحياة لا يجد الشقاء اليه مدباً ويرى الدنيا ضاحكة له باسمة

فلنعملن اذن اذا شئنا ان نسعد في هذا العالم او ان نخفف ما استطعنا من اعباء هذه الحياة واثقالها لان البطالة اذا كانت كما قيل رأس الرذائل فالعمل سر كل سعادة وراس كل الفضائل

عطلة المدارس

أرايت اعذب في الحياة واطيبا ... من ذكر ايام الحداثة والصبا
ايام لهو كنت تمرح لاعباً ... فيها وكانت في الحقيقة ملعبا
لا رزق ترقبه ولا امنية ... تسعى اليها جاهداً متطلبا
لاشغل يشغل قلبك الخالي ولا ... همٌّ يعوِّد حاجبيك تقطبا
لم ترع عيناك الكواكب ليلة ... وعلى سريرك لم تبت متقلبا
زمن تطيب به الحياة كأنما ... تحنو عليك تقرباً وتحببا
وحديقة عشق النسيم اريجها ... وتعوَّدت اطيارها ان تخطبا

يهتز بعض غصونها طرباً بما ... يُلقي ويطرق بعضها متأدبا
نثرت على افيائها شمس الضحى ... ذهباً واهدتها كساءً مذهبا
بجوار مدرسة كذاك الروض لا ... تنفك تولي الناظرين تعجبا
تتعشق الابصار ظاهر زخرف ... فيها وتستجلي العقول محجبا
متجاوران لنسبة في نفسها ... عظمت فما منها الاخاء باقربا
فضل المياه على الرياض نضارة ... فضل العلوم على العقول تكسبا
بالجهل والاهمال تُعقم هذه ... ابداً ويصبح ذاك قفراً سبسبا
وكأن هذا العمر زرع لا ترى ... فيه سوى غرس الحداثة مخصبا
يلقي المعلم والمربي بذره ... فيكون اما فاسداً او طيبا
خلق المهذِّب خلق طفلك ناشئاً ... فانظر الى من تصطفيه مهذبا
روض مررت به وجست خلاله ... سحراً فاسكرني شذاه واطربا
وذكرت طلاب المعارف اهله ... فوقفت فيه خاشعاً متهيباً
كانت ديار العلم حافلة بهم ... بالامس ثم تفرقوا ايدي سبا
لكنما هي عطلة وقتية ... تمضي فيرجع جمعهم متألبا
وتعود ساحات المدارس بعدها ... ملأى بمن عادوا وكانوا غيبا
وكأنما قرأوا على ابوابها ... اهلاً وسهلاً بالوفود ومرحبا
يا ايها الشرقي ويحك لم يعد ... لك ما تحاذر ان يضيع ويسلبا
الا بقية موطن وعليه ان ... تحرص فانت محاذر ان تذهبا
فانهض لان جماعة من حولها ... يترقبون ليغنموها مكسبا
انت الضعيف نعم ولكن ربما ... احتال الضعيف فلم يخف ان يُغلبا
انت الضعيف بلى لانك جاهل ... والجهل اخشن كل امر مركبا